المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 28-05-2006 العـــدد : 12295
الصفحـات : 21 المسلسل : 177

تجربتي في عمادة مركز الدراسات الجامعية للبنات

فيما يلي نص الورقة التي كان سيلقيها الدكتور منصور الحازمي في جامعة الملك سعود بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها - وذلك في صباح السبت الموافق ٢٢-٤-١٤٢٧هـ ولكن الندوة وقد ألغيت فجأة في اللحظات الأخيرة، فقد رأت (الجزيرة) أن تنشرها بحكم أنها شهادة للتاريخ عن مرحلة مضت وانقضت من مسيرة جامعة الملك سعود.

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 28-05-2006 العـــدد : 12295
الصفحـات : 21 المسلسل : 177

أتذكر، وجامعة الملك سعود تحتفل اليوم بمرور خمسين عاماً - نصف قرن هجري - على تأسيسها، أنني كنت ورفاقي القدامى ضمن أولئك الرواد المؤسسين والمنسيين. جئنا إليها معيدين وهي طفلة في الثانية من عمرها، ثم عدنا إليها شباباً مدرسين وقد بلغت العاشرة. وأولنا رضا عبيد في كلية العلوم، وعزت خطاب في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، أما الدفعة الثانية من المعيدين فقد ظهرت في العام التالي - أي سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م - وتتكون من المحمدين: الشامخ وأبي السمح، والمنصورين: الخريجي والحازمي. وجميعهم في الآداب، ما عدا محمد أبي السمح، رحمه الله، فقد كان في كلية التجارة.

وتوالى المعيدون وكثروا في السنوات التالية. يقضون عاماً واحداً في جامعة الملك سعود، ثم يبتعثون لدراسة الماجستير والدكتوراه في بريطانيا غالباً أو الولايات المتحدة الأمريكية. وقد شهدت سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م عودة أكبر مجموعة من المبتعثين الحاصلين على الدكتوراه من الجامعات البريطانية: أحمد الضبيب وحسن شاذلي ومنصور الحازمي في اللغة العربية، وعبدالرحمن الأنصاري في الآثار، وعبدالغني حمزة في العلوم. كما عاد في العام نفسه الزميل أحمد خالد البدلي من إيران يحمل درجة الدكتوراه في اللغة الفارسية.

لقد كان عام ١٣٨٦هـ نقطة تحول في تاريخ جامعتنا الحبيبة إذ بدت السعودة وبدأت المشاريع العلمية، وكثرت التخصصات بكثرة العائدين من المواطنين الأكاديميين وتلك قصة طويلة يكتبها مؤرخو التعليم الجامعي في بلادنا. ولكن الحديث هنا عن المرأة وعن تجربتي الشخصية في عمادة مركز الدراسات الجامعية للبنات. فأين هي المرأة في تاريخنا؟ وفي تاريخ جامعتنا الأم التي نحتفل اليوم ببلوغها سن الخمسين؟

لقد كانت جامعة الملك سعود والحق يقال هي الرائدة في بلادنا في التحمس لتعليم المرأة تعليماً جامعياً، وإفساح المجال لها للانتهال من معين العلم والمعرفة، عن طريق الانتساب في بداية الأمر، ثم الانتظام في مرحلة لاحقة، وفي عام ١٣٩٤هـ - ١٣٩٥هـ على وجه التحديد. وقد قامت الجامعة في عام ١٣٩٦هـ بإنشاء مركز الدراسات الجامعية للبنات للإشراف على تعليم الطالبات وتعيين عضوات هيئة التدريس والمحاضرات والمعيدات بالتنسيق مع الكليات المعنية - وكان أعضاء هيئة التدريس يقومون أيضاً بتدريس طالبات البكالوريوس عن طريق شبكات التلفزيون المغلقة.

وأذكر حينما كنت عميداً لكلية الآداب خلال الفترة ١٣٩٣-١٣٩٦هـ أن أبلغني الزميل الدكتور عبدالعزيز الفدا - مدير الجامعة آنذاك - بتقدم ثلاث طالبات لدراسة الماجستير في قسم اللغة العربية، وكان يقترح، في حال قبولهن، أن تقوم كلية الآداب بتدريسهن عن طريق الشبكة التلفزيونية، أسوة بطالبات البكالوريوس ولم تكن لجامعة الملك سعود في ذلك الوقت أي خبرة بتدريس طالبات الدراسات العليا. ولكنني أقنعت معالي المدير أن الشبكة التلفزيونية لا يمكن أن تكون وسيلة مجدية لهذه المرحلة المتقدمة من الدراسة التي ينبغي أن تعتمد على جهد الطالب ومناقشته فيما يقرأ وما يكتب، وأنه لا بد من التدريس المباشر، مع الحرص على التمسك بالتقاليد المحلية والقيم الإسلامية الصحيحة. وكان لا بد لنا من إبلاغ معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن آل الشيخ - رحمه الله - الذي لم يبد اعتراضاً على فكرة التدريس المباشر ولكنه لم يعطنا تصريحاً رسمياً مكتوباً وهكذا بدأت جامعة الملك سعود الدراسات العليا للطالبات، في كلية الآداب أولاً ثم الكليات الأخرى، وكانت الوحيدة بين جامعاتنا السعودية التي أقدمت على تلك الخطوة الجريئة، واستمرت حوالي ربع قرن من الزمان، حتى عدلت مؤخراً، تحت الضغوط المستمرة، عن التدريس المباشر ولجأت إلى الشبكة التلفزيونية.

وأشهد الله أن تجربة الجامعة تلك كانت ناجحة ومفيدة إلى حد كبير، وأن جميع الأوهام والشكوك التي كانت في أذهان الآخرين لم تكن صحيحة وبعيدة كل البعد عن الواقع الفعلي.

وفي عام ١٤٠١هـ صدر قرار معالي مدير الجامعة الدكتور منصور إبراهيم التركي بتعييني عميداً لمركز الدراسات الجامعية للبنات لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من ١٦-٥-١٤٠١هـ وكان ذلك القرار - أعني مبدأ اختيار الرجل لتلك العمادة - نقطة تحول في تعليم المرأة الجامعية في بلادنا، ولكنه كان منسجماً مع باقي الإصلاحات الأخرى التي قام بها ذلك المدير الوطني المخلص الجريء ولقد حاولت أثناء عمادتي للمركز أن أتقدم ببعض المبادرات التي تتلاءم مع ذلك التيار الليبرالي الذي تبنته جامعة الملك سعود في ذلك الوقت، الذي لم يكن مناقضاً في نفس الوقت لعقيدتنا السمحة أو لتقاليدنا العربية الأصيلة. ولعل أهم تلك المبادرات موافقة إدارة الجامعة على اقتراحي بأن يكون لمركز الدراسات الجامعية للبنات - قسم الدراسات الإنسانية - مجلس على غرار مجالس الكليات الأخرى تناقش فيه قضايا الطالبات وجميع القضايا الأخرى المتعلقة بالمركز، وأن يتكون المجلس من عميد المركز رئيساً، وعضوية كل من الوكيلة ورؤساء الأقسام المعنية. وهذا ما حدث فعلاً إذ أصبح للمركز مجلس يمثل كليات الآداب والتربية والعلوم الإدارية، وتناقش فيه جميع القضايا المتعلقة بالطالبات وعضوات هيئة التدريس. وهو بذلك التشكيل أكبر من مجلس الكلية

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 28-05-2006
الصفحـات : 21
العـــدد : 12295
المسلسل : 177

المتفردة وأكثر شبها بمجلس الكلية الجامعية University College.

ومن الخطوات الإصلاحية الأخرى التي قام بها مركز الدراسات الجامعية للبنات في ذلك الوقت سماحه لعضوات هيئة التدريس بلقاء رؤساء الأقسام المختصة ومناقشتهم في الأمور الأكاديمية المتعلقة بالخطط والمناهج والجداول وغيرها مما له صلة بالطالبات والمعيدات والجداول والمواد وغير ذلك من القضايا.

ومجالس الأقسام في جامعاتنا السعودية لا تعبأ للأسف بالنصف الآخر من الأكاديميات المنتميات إلى تلك الأقسام، وبعضهن أكثر خبرة ومعرفة وشهرة من الرجال.

وأذكر أن قسم اللغة الإنجليزية قد تعاقد في السنوات البعيدة الماضية مع الدكتورة فاطمة موسى - الأستاذة بآداب جامعة القاهرة والمعروفة بخبرتها الطويلة وبحوثها ومؤلفاتها الكثيرة - فحشرت لدينا مع النساء ولم يكن لها أي دور في قرارات مجلس القسم.

وكان رئيس القسم نفسه الزميل الدكتور عزت خطاب أحد تلامذتها في خمسينيات القرن الماضي وهذا ما ينطبق أيضاً على الأستاذة الدكتورة نبيلة إبراهيم وعلى أخريات في قسم اللغة العربية وفي الأقسام الأخرى.

لقد كان المركز خلال تلك السنوات يعج بالأنشطة والفعاليات. فهناك الندوات العلمية، وهناك المحاضرات، وهناك اللقاءات التي تنظمها إدارة المركز مع كبار زوار المملكة من العلماء والمبدعين والمفكرين من أمثال ناصر الدين الأسد ومحمد أركون وسلمى الخضراء الجيوسي ومحمد الفيتوري. وهناك مناقشات الرسائل الجامعية التي كان يشترك فيها الأستاذات والأساتذة ويحضرها طالبات الدراسات العليا، وكانت تنفذ مباشرة ومن غير الاستعانة بالشبكة التلفزيونية.

وقد حرص المركز أيضاً على إصدار نشرة شهرية سماها (أنباء المركز) تهتم بنشاطه العلمي والثقافي وتسجيل ما يصدر من إدارة الجامعة من قرارات تتعلق بالمركز.

وبعد انتهاء فترة عمادتي سنة ١٤٠٤هـ قررت إدارة الجامعة الجديدة، وتحت إلحاح بعض المتحمسات الغاضبات من عضوات هيئة التدريس أن تنحصر عمادة المركز في العنصر النسائي فقط وألا يتدخل الرجال في شؤونهن الأكاديمية أو الإدارية. وكانت تلك الردة في حقيقة الأمر بداية النكسة، ذلك لأن العميد الرجل كان هو الذي يمثل ذلك المجتمع النسائي المغلق في مجلس الجامعة والمجلس الأعلى للجامعة وبقية الجهات والمؤسسات الرجالية الكثيرة والمسيطرة. فكيف يتسنى للمرأة العميدة أن تقوم بذلك الدور الهائل الذي يقوم به الرجل العميد؟ وأنا لا أتحدث هنا عن أمجاد ومزايا شخصية، وإنما أتحدث عن حقائق وعن تاريخ فلقد فقد المركز تحت الإدارة النسائية الكثير من المزايا، وفي مقدمتها ذلك المجلس المهم الذي أشرنا إليه سابقاً، الذي يشبه مجلس الجامعة المصغر، وعادت قضاياهن تناقش في مجالس الكليات المتعددة. إنني أشعر بالحزن لما آلت إليه الأمور في السنوات الأخيرة، ولكنني متفائل، كغيري من الإخوة المواطنين، بالكثير من الإصلاحات الخيرة التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - أطال الله عمره - ولا سيما ما يتعلق منها بالمرأة السعودية وضرورة الأخذ بيدها لتشارك أخاها الرجل في الكثير من الأمور.

وأخيراً، فقد أقام لي منسوبات المركز حفل توديع سنة ١٤٠٤هـ وألقيت فيهن قصيدة بعنوان: «لألئ المركز» (أقول في مطلعها):

لا تبكِ هنداً ولا تحزن على سعد
ودع سعيداً يقاسي لوعة الكمد
ودع منيرة إنْ جارَ الزمان بها
تشكو إلى الله ما تلقاه من حرد
واهرب بجلدك قد عوفيت من سقم
هوى الجاذر كلا بل هوى بلدي

والأسماء التي وردت في هذه الأبيات هي أسماء لبعض الموظفين والموظفات بالمركز، وفي مقدمتهم وكيلتي الرائعة الأستاذة الدكتورة هند الخثيلة. وقد ضمنت هذه القصيدة ديواني (شلوم يا عرب) الصادر عن المقردات سنة ١٤٢٤هـ وإنني لأتمنى لجميع منسوبات مركز الدراسات الجامعية للبنات الخير والتوفيق والفلاح.

والله الهادي إلى سواء السبيل.